المستشرق الدكتور أبو بكر سراج الدين يقول :

- اهتديت الى الاسلام عن طريق التصوف
- المستشرقون يتظاهرون بحب التصوف ولا يفهمونه
- الصوفية هم مجتهدوا مقام الاحسان
- التصوف امتداد روحى لعصر الصحابة
- الطرق كالمذاهب ولكن على مستوى أعلى
- وحدة الوجود معرفة ذوقية لا عقلية
- شبابنا تحررت أرضه من الاستعمار ولكنه لايزال مسيطرا على عواطفه وتفكيره

الدكتور مارتن لنجز أستاذ اللغة الانجليزية بالجامعة المصرية سابقاً ، والمشرف حالياً على أكبر مكتبة فى العالم ، مكتبة المتحف البريطانى بلندن .

درس التصوف الإسلامى فاستهواه بما فيه من عمق ومعرفة ، ومن هدى ونور ، فأقبل عليه بذوقه وقلبه وعقله ينشد عنده الطريق واليقين .

وعلى المعراج الصوفى وصل الدكتور لنجز إلى الله ، فاجتباه سبحانه ، وهداه إلى الإسلام .

ومن ثم أصبح الدكتور لنجز البريطانى ، الدكتور أبو بكر سراج الدين العالم الصوفى الذى يبشر بالروحانية الإسلامية فى آفاق الغرب ، وربوع الشرق ، داعيا البشرية كافة إلى هذا الرحيق المختوم ، والنبع السلسبيل ، والنور الإلهى المبين ، الذى يملك وحده إنقاذ البشرية من الجاهلية المادية التى ألحدت وتمردت وأخذت تبتعد عن الله وعن هداه .

وتتابعت جولات الدكتور المسلم الصوفى الداعية فى أرجاء العالم ، ثم جاء سيادته إلى القاهرة عاصمة الفكر الإسلامى ، ليحصل لمكتبة المتحف البريطانى على المؤلفات الصوفية الحديثة ، وليلتقى بأئمة الروحانية الصوفية .

وزار سيادته مشيخة الطرق الصوفية حيث استقبله سماحة السيد محمد محمود علوان ، والأستاذ طه عبد الباقى سرور ، وفى جو الأخاء الإسلامى ، والحب الصوفى ، ترقرق الحديث المضىء حول التصوف ورسالته ، ومكانته من الحياة ومن المعرفة ، وأثره فى تعميق المثل الإسلامية العالية ، وإبرازها فى صور حية مشرقة ، ممثلة أكمل تمثيل فى رجال التصوف ، وهم الصفوة المختارة منذ الأزل لمقام « يحبهم ويحبونه » .

وكان من الطبيعى أن نشرك فى هذا الحديث المنير الهادف قراء — مجلة الإسلام والتصوف — لنضع بين أيديهم زاداً روحياً كريماً ، فيه إشعاع وإلهام ، وفيه حياة طيبة ، لمن يتذوق الكلمة المباركة .

قلنا لسيادته :

• س — لقد وصلتم فى الثقافة الأوروبية إلى درجة الأستاذية الجامعية ، فكيف اهتديتم إلى الإسلام ؟ وكيف سلكتم المنهج الصوفى ؟

• ج — لقد جذبنى التصوف إلى الإسلام ، جذبنى بما فيه من مثل إنسانية ، وآداب ذوقية ، وفهم صحيح واضح ، للإنسان والله ، والعلاقة بينهما ، وهى علاقة لم تحدد ولم ترسم فى أى ثقافة أو عقيدة ، كما حددت ورسمت فى التصوف الإسلامى .

لقد استهوانى فى الحاج عنيف حبيب ، ما فى التصوف من معراج ذوق يربط الإنسان بالله ويصله به فى نفحات تعبدية حية ، وفى أشواق قلبية متقدة ، يحيط بكل هذا أفق من الرضا والأنس والحب ، والفيض الحى الذى يغمر كل شىء .

كما استهوانى ذلك المجتمع الطاهر الفاضل ، بعلاقاته الإنسانية الروحية ، المجتمع الذى يصوغه المنهج الصوفى ويقيمه على أخوة عالية ربانية ، تطبع كل شىء فى الكون بطابعها ولونها .

والحق أننى لم أجد فى المسيحية ولا فى غيرها ما يقارن بالتصوف الإسلامى ،

وأرى أن هدف الرهبنة ، وهدف الطريق الصوفى مختلف جداً ، سلوكاً ومعرفة ، وتذوقاً وذوقا .

ثم هناك الصلة التى تربط الشيخ بمريده ، وهذا المدد الروحى الحقيقى الذى يحسه كل سالك للطريق إذا وفق إلى شيخ فيه تلك النفحة العجيبة التى توهب هبنا وتورث أحيانا .

ولقد ذقت هذا المعنى وعشت فيه ، فقد اتصلت وأنا بالمغرب بالشيخ الدرقاوى الشاذلى ، وفى تونس اتصلت بشيوخ الشاذلية ، وزرت مغارة الإمام الشاذلى التى كانت مقراً لاعتكافاته ومجاهداته .

كما اتصلت فى الشمال الأفريقى بالطريقة العلوية الشاذلية وهى فرع من الدرقاوية ، فالشيخ محمد الفاسى ، أخذ من الشيخ حمزة ظافر المدنى الذى أخذ من مولانا الشيخ الدرقاوى .

ولقد أوضحت هذه المعانى فى كتاب لى تحت الطبع تقدمت به لجامعة اكسفورد لنيل دكتوراه جديدة فى العلوم الإسلامية ، وقد تناولت فى هذا الكتاب ، الحياة الروحية للشيخ أحمد العلوى المستغانى الجزائرى ، وفى الفصول الأخيرة من الكتاب نشرت رسائل الشيخ وديوانه وهما من عيون التراث الصوفى .

• س — تقول سيادتكم أن الذى هداكم إلى الإسلام هو التصوف ، فهل يفهم من هذا ، أن المنهج الصوفى كيان قائم بذاته داخل الفكرة الإسلامية العامة ؟

• ج — عصر الصحابة لا مقارنة بينه وبين أى عصر من بعده ، وروح هذا العصر وامتداده لا يوجد إلا فى التصوف ، ومن هنا كان لنا أن نقول : أن التصوف هو مثالية الإسلام ، وأن الصوفية هم التطبيق العملى لهذه المثالية .

ولقد أخطأ رجال الاستشراق خطأ كبيراً فى دعواهم أن التصوف الإسلامى استمد أصوله من الثقافات غير الإسلامية .

فأساس التصوف نجده فى القرآن الكريم ، وفى الأحاديث النبوية ، وفى منهج الرسول وفى حياة الصحابة .

والقرآن حينما يدعو إلى ذكر الله وإلى الاستغفار والتوبة والانابة والاستقامة ، والصلاة على الرسول والاقتداء به ، نرى أن الصوفية هم الذين قاموا بهذا واجتهدوا فيه وتخصصوا أكثر من أى طائفة أخرى .

والاعتكاف مثلا لم أسمع به إلا عند الصوفية ، وكذلك مجالس الذكر والمداومة على العبادة والاستغفار ، وتطهير الجوارح ، وتنقية القلب ، ورياضة الروح .

والحجاز اليوم لا يوجد فيه اعتكاف ، لأنه لا يوجد فيه إعتراف بالتصوف ، ولا يوجد به أيضاً أولياء لأن الولاية لا تنبت إلا فى البيئة الصوفية .

• س — تحدثتم عن خطأ المستشرقين فى دعواهم أن التصوف الإسلامى اقتبس بعض أصوله من الثقافات الأجنبية ، فهل ترون أن لهم أخطاء أخرى فى دراساتهم الصوفية؟

• ج — المستشرقون يتظاهرون بحب التصوف الإسلامى ، ويسرون فى الحديث عنه ، ولكنهم لا يفهمون هذه العقيدة ، ولا يتذوقون هذا المنهج ، ولو فهموا وتذوقوا لأسلموا وتصوفوا .

وما سنيون ، الذى تخصص كما يقول فى دراسة الحلاج ، يتجاهل كلمات الحلاج التوحيدية ، ليثبت أنه لم يكن موحداً على مذهب وحدة الوجود .

إن لهم أغراضا وأهدافا فيما يكتبون عن التصوف ، ولقد سمعت من ماسنيون أنه رجع إلى دينه عن طريق التصوف ! ! ؟

والتصوف شىء كلى ، وماسنيون كمسيحى لا يمكن أن يفهم التصوف فهما حقيقياً .

ولهذا نجد أكثر المستشرقين يميلون إلى شىء من إنكار التصوف وهم لا يشعرون .. وهذا «نيكلسون» يقول إنه يحب التصوف ، وهو ينشر رسائل ابن تيمية ويعجب بها !؟

والأستاذ — اربرى — بكمبردج يحترم التصوف ككل ، ويلمزه فى كثير من وسائله ومعارفه .

ولقد نشرت بالمجلة الإسلامية بلندن مقالا تحدثت فيه عن أصول التصوف ،

ورددت فيه على دعاوى المستشرقين ، ويسرنى أن أرسله بعد ترجمته إلى مجلة الإسلام والتصوف لنشره على صفحاتها .

• س — يسرنا أن ننشر هذا المقال ، ونأمل أن يصل إلينا قريباً ولقد قلتم أن الحلاج كان موحداً على مذهب وحدة الوجود . فما هى نظرتكم إلى هذا المذهب الذى يدور حوله الجدل والحوار ؟

• ج — لقد كتبت فى كتابى الذى حدثتكم عنه فصلا عن هذه العقيدة ، أو هذا المذهب ، أردت أن أثبت فيه أن الشيخ الأكبر محيي الدين قدس الله سره ، لم يكن هو المؤسس لهذه العقيدة كما يزعم رجال الاستشراق . . فهذه العقيدة توجد فى الإسلام منذ يومه الأول ، ولكن بعبارات أخرى .

وتوجد أيضاً فى القرآن الكريم : « إنما تولوا فثم وجه الله » . . « كل شىء هالك إلا وجهه » . . « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » .

والإمام الغزالى حجة الإسلام يثبت هذا المذهب فى رسالته مشكاة الأنوار ، قبل فصوص الحكم لمحيي الدين بمائة عام .

وهذه العقيدة يعبر عنها بصعوبة ، إنها ذوقية لا عقلية ، يقول الشيخ الأكبر : « كنت جالسا فى حال الذكر فإذا بهاتف يقول لى : قل هو الأول والآخر والظاهر والباطن فقال ، ثم كرر الهاتف قوله ثلاث مرات ، فقال محيي الدين : أفهم الأول ، وأفهم الآخر ، وأفهم الباطن ، ولا أفهم الظاهر ، لأننى لا أرى إلا الأشياء المخلوقة ، فقال الهاتف : لو كان ظاهراً غيره لكان قلت لك : فلا ظاهر سواه » .

وفى دعاء الرسول عليه السلام : « أنت الظاهر ولا فوقك شىء » ومعنى فوق لابد أن يكون ، ليس عليك غطاء ، أى لا ظاهر سواه .

وفى الحديث الشريف : « كان الله ولم يكن معه شىء ، وهو الآن على ما هو عليه »

فهل يوجد من ينكر هذا ؟ إنه الآن على ما كان عليه — أى لا سواه — حتى العالم الظاهر لا يتجاسر أن ينكر ؟ وهل يمكن أن نزيد شيئاً ؟ وهل يمكن أن نضيف جديداً إلى الله سبحانه .

ثم الاسم سبحانه وتعالى « الحق » يدل على أنه لا حق إلا الحق .

وكما نقول : لا إله إلا الله ، نقول لا حق إلا الحق ، فإذا لا يوجد فى الحقيقة أى شىء غير الله .

● س — من من أئمة التصوف القدامى تأثرت به فى دراساتك واحتل من نفسك المقام الأسمى ؟

● ج — لا أميز بينهم ، إننى أقول « لا نفرق بين أحد منهم » لأن من يفرق بين . ه الجنيد ، والغزالى ، والحلاج ، ورابعة العدوية ، والشاذلى ، وابن الفارض ، إنما يفرق بين أجزاء الحقيقة الواحدة .

واذكر أننى حينما كنت فى تونس ، كنت أناقش السيد حسنى عبد الوهاب الوزير التونسى السابق ، وهو شاذلى ، وكان يقارن بين محيي الدين والسيد أبو الحسن الشاذلى ، ويفضل الثانى على الأول ، مع إجلاله العظيم لمحيي الدين ، كنت أناقشه فى هذه التفرقة وانكرها عليه .

وأنا لا أحب هذا من أى صوفى ، ولا أرضاه فى الدراسات الصوفية الحديثة .

● س — مارأى سيادتكم فى الطرق الصوفية ورسالتها ، ولماذا لم توجد فى العصر الأول ؟

● ج — الطرق الصوفية ضرورة حيوية للعالم الإسلامى ، لأنها التطبيق العملى للتصوف ، ولأنها تحمل هذا المشعل القوى الذى ينير الطريق لرواده .

والتصوف هو الإحسان كما عرفه الرسول عليه الصلاة والسلام « أن تعبد الله كأنك تراه » وكلمة تعبد تدل على مداومة فى العبادة ، أى أن تكون عبدا قائماً لله فى مقام الإحسان .

وفى عصر النبى عليه الصلاة والسلام ، كانت قلوب الصحابة منيرة بنور النبى فاستغنوا عن الطرق .

وفى أعقابهم جاء التابعون يترقرق بينهم بقية من هذا النور ، ثم ابتدأ شىء يشبه

الطرق ، زاوله الحسن البصرى كان حوله تلاميذ يرشدهم ويوجههم ، ثم اقتضت الضرورة أن يوجد هذا التنظيم الدقيق ليتولى الإرشاد العام .

والطرق كالمذاهب الفقهية ، ولكن على مستوى أعلى ، فإسلام الطرق على مستوى الإحسان ، ولا بد من الاثنين معا ، وكان سيدنا أحمد العلوى يقول : « المشايخ الصوفية هم مجتهدوا الإحسان ، والأئمة الأربعة هم مجتهدوا الإسلام ، والأشعرى مجتهد الإيمان »

ويحضرنى بهذه المناسبة أن جريدة فى الجزائر كانت تتعرض دائما للطرق الصوفية ، وكان العلماء يردون عليها ، واذكر بيتا جميلا من قصيدة رائعة فى الرد على هذه الجريدة وهو :

يا ناطح الجبل العلى لتوهنه اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولا شك أن العالم الإسلامى فى عصرنا أحوج ما يكون إلى هذه الطرق وأحب أن أقول إن رجال الفكر كافة يقدرون التصوف الإسلامى ، ويحترمون الإسلام باحترامهم للتصوف .

وقد طفت بكثير من بلاد آسيا وأفريقيا ولمست أثر التصوف والطرق فى حياة المسلمين ونشاطهم .

إن الطرق قوة كبرى بعيدة الأثر فى حاضر المسلمين ومستقبلهم ، وحينما كنت فى « نيجريا » كنت أرى أبناء الطرق الصوفية هم الذين يعمرون المساجد والأندية ، وفى كافة العواصم الأفريقية كنت أرى هذه الظاهرة .

وفى السودان والمغرب اتصلت بالطرق الكبرى ، كما اتصلت بالقادرية والتيجانية عن طريق الشيخ الفاتح قريب الله ورأيت الآمال الكبار التى تملأ الصدور والقلوب .

وللطرق الصوفية أثرها الضخم فى مقاومة الاستعمار والتبشير ثم أثرها فى نشر الاسلام خصوصا فى الهند وجاوه والشرق الأقصى وأفريقيا .

• س — هل ترى سيادتكم أن التصوف يستطيع أن يقدم للشرق الإسلامى فى عصر تحرره ، منهجا إيجابيا بناء صالحا لإقامة مجتمع حضارى حر قوى ؟

• ج — التصوف عندى هو وحده القادر على إنشاء جيل عربى إسلامى مزود بالعزمات القوية وبالأخلاق الفاضلة ، جيل يتمسك بالعروة الوثقى ، وبالمثاليات العليا ، جيل مطهر من مادية الغرب والحاده وانحلاله ، ويؤسفنى أن أقول أن كثيراً من الشباب فى الشرق لايزال رغم تحرر أرضه مستعمرا للغرب فى تفكيره وعواطفه وأخلاقه

ويستطيع التصوف إذا تزود به الشباب أن يملأ هذا الفراغ النفسى ، وأن يطرد من قلب الشباب تراث الغرب وإلحاده وانحلاله .

بل يستطيع التصوف فوق هذا أن يمد يده المنجدة للانسانية كافة . لينتشلها من هذه النكسة التى تدمر روحه وتهبط بمثله . وتبعده عن الله ورسالاته .

إن التصوف الاسلامى يمثل الحقيقة الربانية العليا التى ترفع الحجب إنه الحل الوحيد لكافة المشاكل الفلسفية والمذهبية التى تحيل الإنسان إلى آلة تدمر نفسها وتدمر من يحيط بها .

إننى أوربى وقد وجدت خلاص روحى ونجاتها فى التصوف . ويستطيع كل غربى أن يجد ما وجدت إذا وجد الدعاة والهداة .

وتلك هى رسالة الصوفية فى هذا العصر .

قاموس التصوف

(٤)

اللفظ	المعنى
١ — الأدب	أدب الشريعة وأدب الحق : فأما أدب الشريعة فهو الوقوف عند رسومها وظواهرها ، وأما أدب الحق فهو أن تعرف مالك وماله (سبحانه) .
٢ — الوجود	هو وجدان الحق فى الوجد .
٣ — الجلال	هو نعوت القهر من الحضرة الإلهية .
٤ — عين اليقين	ما أعطته المشاهـــدة ، وأما علم اليقين فهو ما أعطاه الدليل .
٥ — النفس	روح يسلطه الله على نار القلب ليطفىء شررها .
٦ — الروح	يطلق بإزاء الملقى إلى القلب من علم الغيب على وجه مخصوص .
٧ — الحضور	أى حضور القلب بالحق عند الغيبة عن الخلق ، والغيبة هى أن يغيب القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لشغل الحسن بما ورد عليه .
٨ — السكر	هو غيبة بوارد قوى .
٩ — الصحو	رجوع الإحساس بعد الغيبة .
١٠ — القرب	هو قيام العبد بالطاعة والعبادة .
١١ — البعد	الإقامة على المخالفة والمعصية .

اللفظ	المعنى
١٢ — العلة	هى تبيه الحق لعبده بسبب أو بغير سبب .
١٣ — الملامتية	هم الذين لم يظهر على ظواهرهم أثر مما فى بواطنهم ، وأولئك هم أعلى الطائفة .
١٤ — المسافر	هو الذى سافر بفكره فى المعقولات والاعتبارات فعبر عن عدوة الدنيا إلى عـــدوة القصوى .
١٥ — المكان	عبارة عن منازل فى البساط ، لا تكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والأحوال.
١٦ — الوقت	عبارة عن حالك فى زمان الحال ، وهو لا يتعلق بماض ولا مستقبل .
١٧ — الانزعاج	هو أثر المواعظ فى قلب المؤمن . . ويراد به التحرك للوجد والأنس .
١٨ — الأنس	هو أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية فى القلب .
١٩ — الهيبة	هى أثر مشاهدة جلال الله فى القلب .
٢٠ — النقباء	هم الذين استخرجوا خبايا النفوس .
٢١ — النجباء	هم المشغولون بحمل أثقال الخلق .
٢٢ — المحق	فناؤك فى عينه .
٢٣ — الغيرة	غيرة فى الحق لتعدى الحدود .
٢٤ — الزوائد	زيادة الإيمان بالغيب واليقين .